بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

القلب

- الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي أنت المعطي وأنت المانح وأنت الولي الذي يتولانا في أمورنا كلها، (نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) فيا ولي نعمنا تولنا في أمورنا كلها ظاهرها وباطنها وصغيرها وكبيرها واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك وتودهم ويودونك.
- وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الحبيب المحبوب، والداعي إليه بأخلاقه وصفاته وتذللـه، وعبوديته لربه، فكم كان في ظلمة الدجى قائماً بدعوة ربه داعياً لأمته مستغفراً لهم من ذنوبهم مرشداً لهم حريصاً عليهم رؤوفاً بهم.
- كنا قد توقفنا قبل رمضان في عقبة العوائق، وهي طويلة لأنها تتعلق بكثير من شؤون سير العبد إلى الله تعالى.
- والليلة نكمل في ما يتعلق بالقلب وهو مجال عظيم ومجال فخيم يحتاج منا إلى أن نركز في مسألة كيفية التعامل مع القلب وأن تعرف كيف يُغزى قلبك.
- العدو إذا أراد أن يهجم على بلدة أو قرية يضع لها خطة وجنوداً ووقتاً محدداً، فقلبك هو أرض محل نظر الله تبارك وتعالى وكذلك محل نظر العدو فأنت متقصد من الشيطان الرجيم.
- في هذا الفصل الإمام الغزالي سيعطينا أهمية هذا القلب وسيعطينا ما هي الأشياء التي من أجلها يُغزى قلبك.
- يقول الإمام الغزالي: "الفصل الرابع: ثم عليك بحفظ القلب وإصلاحه وحسن النظر في ذلك وبذل المجهود.....الأصل الأول (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)".
- الإمام الغزالي يريد أن يخبرك بأهمية هذا القلب وحتى تقتنع بهذه الأهمية ذكر لك خمسة أصول أي أركان مهمة في هذا القلب.
- أول شيء أخبرك أن الله مطلع على قلبك، والمقصود اطلاع الله على القلب اطلاع خاص لأن الله لا تخفى عليه خافية، لا تخفى عليه أقوالك ولا أعمالك ولا نياتك.

- اطلاع الله على القلب دلالة على خصوصية ما يريده الله منك، أي أن الله يبحث عن شيء في قلبك، خصص النظر إليه فإن وجد فيك ما هو يريد اصطفاك وقربك وأودع في قلبك الأسرار والأنوار والعطايا لأن قلبك صار يصلح لأن يكون خزينة، فهو سيعطي قلبك الخزائن والنفائس وسيعطيك المفتاح أنت أغلقه وتصرف فيه كما تحب.
- ولكن هذا الأمر ليس بسهل ولا هين كقوله (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ).
- (وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ) كيف تحذر الله؟ يعلم ما في نفسك احذر أنه إذا رأى ما في نفسك ما يغضبه أو يسخط عليك والعياذ بالله.. فاحذر ذلك.
- أنا أعلم كمعلومة أن الله يعلم ما في قلبي، لو أن هناك مسلماً يقول أن الله ما يطلع على قلبي هو كافر، كيف أنمي هذا العلم بحيث يكون معرفة؟
- أعلم أن الله مطلع على قلبي.. كيف نجعل المعلومة علم، ثم من علم إلى معرفة، تحولت من معلومة إلى علم إلى معرفة، فالمعرفة هذه تجعلك عارفاً بالله.
- هناك 3 نقاط، كمبتدئين نكتفي بها لو واظبت عليها لعل الله يشرق على قلبك شيئاً من معان أن تعلم أن الله فعلاً مطلع عليك.

1. تكثر من الذكر الخفي، تشغل قلبك بذكر الله وإن كان لسانك صامتاً إلا أن قلبك مع الله.

- ليس مجرد أن تقول لا إله إلا الله أو سبحان الله، المقصود ما معنى التسبيح تنزيه الله، النبي ﷺ يقول لنا: (من قال سبحان الله وبحمده 100 مرة غُفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر).
- لو الإنسان فكر بعقله كيف هذا ما أسهله ممكن أجيب 100 200 1000 العمل بسيط والثواب عظيم ولو كانت مثل زبد البحر، الإنسان تهمه ذنوبه.. لكن أي تسبيح؟ كلا!
- حال المذنب عندما يسبح الله بهذا، فإذا كان مجرد باللسان لم يحصل على الأجر الكبير، عندما تسبح الله وأنت مذنب كأنك تقول:
- تنزهت يا رب بعظمتك، من أن يأتي حقير مثلي يخالف أمرك كونك جليل أن تُعصى، وأن يخالف أمرك فأنا أسبحك ولولا نعمتك عليّ مع كوني مذنب أن أسبحك، فأنت منعم علي بهذه النعمة لما استطعت أن أسبحك لذلك أقول سبحان الله وبحمده.. تنزهه من حقارة فعلك، أنك أسأت إلى المحسن إليك المنعم عليك، الذي أعطاك وهو عزيز مقدس منزه عن أفعالك، ومع ذلك أذن لك

أن تسبحه فينبغي تسبحه وتحمده.. فمن كان على هذا الوصف هنا غُفرت ذنوبه.. عرف أنه حقير وأنه لا يليق أن يخالف الكريم العظيم الجليل.. علم أن الله منزه عن هذا الأمر الذي لا يليق وعلم أن الله مع ذلك أكرمه بالتسبيح هذا الذوق والمعرفة كفيلة أن تكفر عنه سيئاته.

- الله يكرمنا بالمعرفة.
- من معاني الذكر وخاصة الذكر القلبي، هو ذكر الله بأسمائه وصفاته، مثلاً رأيت منظراً جميلاً أعجبك، تنظر إلى هذا المنظر الجميل مثلاً حديقة أو ورود فتقول "بديـــــع" في قلبك، تنظر عينك وقلبك يترجم تلك النظرات بأنها عبرة وفكر.
- قال السلف ينبغي للعبد أن يكون كلامه ذكر وصمته فكر ونظره عبرة.
- حصل لك موقف ما كنت تتوقعه خلاف ما تريد، جاء الأمر على عكس ما تريد ماذا تقول؟ "حكيـــــم".
- تقول ليش ما يصير حرام عليكم، حرام عليهم هم تصرفوا شيء في الكون؟ هل ممكن يحرك ذرة، حرام عليك أنت شهدت أن هناك من يتصرف في الكون غير الله.
- حصل لك أمر كما ذكرت على غير ما تخطط أو ما تهوى وتريد، جاء الأمر بالعكس، قل: "حكيـــــم"، يعني فيه حكمة.
- وادخل مع الحكيم، إذا دخلت معه، شغلت به عن أمرك، فإذا شغلت به عن أمرك صار هو يتولى أمرك إن وليي الله الذي نزل الكتاب .. هو هذا المطلوب يريدك له، والباقي قال لك خلاص أنا أرتبه.
- الله تعالى أحيانا يكرر اسمين من أسمائه الحسنى معاً (عليم حكيم)، (غفور رحيم)، (سميع بصير)، هذه كلها تجد تأتي مع بعض، يريد منك أن تشتغل بهذه المعاني وقس على ذلك بقية عمرك وشؤونك الكثير قد ضاع منك، وسترى أنك فعلاً نسيت ربك في كثير من الشؤون والأمور.
- فتصور اطلع الله على قلبك ورآك تقول أنت حكيم، وكان يمكن منك كعبد أن تعترض وتسب وتقول كيف وحرام عليكم، فاطلع على قلبك فيقول نِعْم العبد.
- الله يجعلنا وإياكم من الذين أوتوا العلم في خير ولطف وعافية.

2. النقطة الثانية: مما يعينك أن تعلم أن الله مطلع على قلبك، تكثر طاعة الله في الخلوات، كلما كنت في خلوة زد من الطاعات.

- وهذا صعب على الإنسان ، لأنه يكون في خلوة لا شيء يشجعه على الإكثار-أتكلم بشكل عام- لا أحد يعينني، تجده يتثاقل في ذلك.
- اجتهد أكثر، كلما كنت في خلوة زد من طاعاتك، ينمي فيك معنى الإخلاص ومعنى مراقبة الله أنه يطلع عليك في خلوتك.
- طاعة الخلوات تكفر سيئات الخلوات، وطاعة الجهر تكفر سيئات الجهر.
- وأعظم من ذلك في خلواتك أن تذكر ما تستحي أن تذكره في الملأ، تذكر ذنوبك وأن تذكر عيوبك وتذكر فضله عليك سبحانه وتعالى، عند ذلك يكون الأمر قد اعترفت في خلوتك بذنوبك وتبكي وتستحي على نفسك، وتخجل من الله أنه كيف غبت عن اطلاعه عليك ثم تكفر عن تلك السيئات بطاعات، مما يزيد معرفتك في قلبك من أن الله مطلع عليك.
- ثم تذكر صفاتك فتقول أنا الظالم وأنا العاصي وأنا المجرم وأنا الغافل وأنا البعيد وأنا قليل الأدب معك وأنا الذي كنت كذا وكذا.
- إذا ذكر العبد صفاته باعتراف وانكسار فإن الله يذكر صفاته.
- إذا العبد قال: أنا المذنب، الله تعالى يقول: وأنا الغفار.
- إذا العبد قال: أنا الظالم، يقول الله تعالى: أنا الستار.
- واذا قال العبد: أنا البعيد، يقول ربه: أنا القريب.
- لابد يكون في تقابل حتى تعرف أسماؤه تقابل صفاته.
- من عرف نفسه فقد عرف ربه.
- لابد أن تكون صادقاً ما تقول أنا ظالم باطنك يقول أنا مش ظالم، الله عاب أقواماً (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ).
- النقطة الثالثة في ما يعينك على تعلم أن الله ينظر إليك، تلتزم أن لا تكشف عورتك ولو كنت لوحدك، الزم نفسك أنك تستر عورتك ولو لم يكن معك أحد، إن واظبت على ذلك في أنك لا تظهر عورتك رزقك الله الحياء منه، والمراقبة له، وشهود أنه ناظر إليك، سبحانه وتعالى.
- يقول الإمام الغزالي: "الأصل الثاني: قول رسول الله ﷺ (إن الله لا ينظر إلى صوركم..)".
- هذا الأصل الثاني أو الأساس الثاني من أهمية القلب، وهو أنه موضع نظر الله عز و جلّ.

- المقصود أنّ الله يريد أن يطلع عليك ولا يجد ما يغضبه وهي معصية أو ما يكرهه وهو الذي لا يليق بك، أنت طهر قلبك مما يغضبه مثل المعصية وأشباهها.. صغائر وكبائر.
- ما الذي يكرهه الله؟ كل ما خالف النبي من قول أو فعل أو نية.. فأنت اجتمع بظاهرك وباطنك على قالب النبوة.
- أربع نقاط يحب أن يراها الله تعالى في قلبك، أهم الاشياء ليس كلها على سبيل الاختصار مما يحبه الله.

❖ الله تعالى يحب أن يراك مخلصاً له لا تقصد غيره.. حاول أن لا يكون في قلبك قصدٌ من قول أو فعل من عبادة أو عادة إلا وجه الله تبارك وتعالى.. جاهد نفسك.

❖ الصدق.. يحب أن يراك صادقاً معه ومع رسوله، والصدق مع الله ورسوله من علاماته الثبات، الثبات لا يتزعزع ولا يتغير، ولا يقلق.. هو صادق مع الله..

- لأنه يصدق وعد الله، فالله قد وعد أنه مع المؤمنين إن كنا مؤمنين، وقال أنه مع المتقين إن كنا متقين، وقال أنه مع الصابرين إن كنا صابرين، وقال أنه مع المحسنين إن كنا محسنين، تريد أن تكون مؤمناً فهو معك، تريد أن تكون متقياً هو معك، تريد أن تكون صابراً هو معك، تريد أن تكون من المحسنين هو معك، ما ترك لك مجال، أعطاك الوعد اصدق معه، إذا صدقت معه صدقك، فإذا قال أحدهم أين الله؟ لماذا لم يكن معي؟ الله قد وعد إن كنت صابراً.. هل أنت صابر؟ هل أنت مؤمن؟
- الصدق مع الله، أنه يسري في كل عباداتك، فإذا صليت صل صلاة صادق مع الله، إذا كبَّرت كن صادق في التكبير، الأمر في بدايته صعب الزم نفسك.
- أول مراتب الصدق أن تصدق بما جاء به النبي ﷺ لا تستكثر ولا تقول كيف، وضعت قدمك في أول مراتبها.
- احذر أن تكذب في كل حال، لا تكذب بقولك ولا فعلك ولا صفاتك كن صادقاً مع الله في مشيك، حتى في أكلك، والمقصود كن صادقاً مع الله في عاداتك أن تنويها لله تبارك وتعالى، جل جلاله.
- قلنا لو صدق حتى في أكله أو في لباسه كيف هذا؟ لو صدق في النية، تعلمنا إذا لبسنا ملابسنا ننوي بملابسنا ستر عوراتنا، لو صدقنا في هذه النية عند لبس الثوب لما كشف الله لنا

عورة أبداً، فإن الله يستر عورتك حياً وميتاً ولن يجرؤ أحد أن ينتهكك أو أن يعبث بك أو تقع في أيدي أناس ساقطين يريدوا كشف عورتك – إذا صدقت –.

- اصدق الله حتى في أكلك، نوينا بأكلنا طاعة الله، إن صدقنا في ذلك أطعنا الله، إذا أكلت لكن عصيت الله لم تصدق في النية، وقس على ذلك بقية الأمور.

❖ النقطة الثالثة في ما يحبه الله: أن يرى محبته ومحبة نبيه مسيطرة على قلبك، يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وهذا يحتاج إلى متابعة وجهد.

❖ النقطة الرابعة: أن يرى في قلبك إرادة الخير للناس، سواء لك أو لغيرك، نويتَ خيراً نفع الناس وخدمتهم ومساعدتهم وتعليمهم ويجعلك من أهل الخير.

- كل يوم أنت عندما تنزل من بيتك انتبه هناك اطلاع ماذا في قلبك وكذلك عند النوم حاول عند النوم أن تجعل قلبك مريداً للخير، إذا أردنا أن لا ننوي غشاً ولا حسداً ولا كبراً ولا أذية لأي إنسان.. تريد الخير لهم وإذا أصبحت في الصباح وخرجت من بيتك إلى عملك فانوي ذلك الأمر فإن الله مطلع على قلبك.
- أسأل الله أن يرزقنا خير الدنيا والآخرة ويجعل قلوبنا موضع نظراته ورحمته وجوده ويجعل قلوبنا كقلوب من أحب واصطفى وقرَّب.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ورضي الله عن الصحابة أجمعين، وجزى الله عنا سيدنا الإمام الغزالي وسيدي الحبيب حسين خير الجزاء ونفعنا بعلومهما في الدارين